- الامارة الخوارزمية 490-628هـ/ 1097-1231م

قيام الدولة الخوارزمية وتطورها :

نشأت الدولة الخوارزمية في الاقليم المعروف بإقليم خوارزم.ويرجع نسب ملوك هذه الدولة الى مملوك تركي اسمه انوشتكين كان قد اشتراه احد الامراء السلاجقة من بلاد ( غرجستان ) المعروفة ببلاد الغور.

وشغل انوشتكين هذا وظيفة( طشت دار) في البلاط السلجوقي ، فأظهر كفاءة اتاحت له التدرج في الوظائف السلجوقية ، فعينهم السلطان ملكشاه بن الب ارسلان (465-485هـ) واليا على اقليم خوارزم في سنة 470هـ ، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته في سنة 490هـ . وقد عمت الاضطرابات اقليم خوارزم بعد وفاة انوشتكين وقع اختياره السلطان بركياروق بن ملكشاه على قطب الدين محمد بن انوشتكين فعينه واليا على اقليم خوارزم ، ولقبه خوارزم شاه اي ملك خوارزم اواخر سنة 490هـ وكان ذلك هو قيام الدولة الخوارزمية التي اخذت تظهر على مسرح التاريخ تدريجيا ، مع اعلان تبيعتها للسلاجقة، وقد ظل قطب الدين محمد مخلصا للسلطنة السلجوقية حتى وفاته سنة 521هـ.

**تطلع الخوارزميون نحو الاستقلال عن السلاجقة:**

اسند السلطان سنجر السلجوقي (513-552هـ) حكم اقليم خوارزم الى علاء الدين اتسز بن محمد بن انوشتكين الذي استطاع كسب ثقة السلطان فصحبه في اسفاره وحروبه ، واثبت مقدرته وكفايته عززت من مكانته ، ثم انصرف بعد ذلك الى تثبيت مركزه وتوطيد نفوذه في البلاد استعدادا لتنفيذ سياسته الرامية الى الاستقلال عن الدولة السلجوقية، فبدا بذلك مرحلة جديدة من النزاع بين السلاجقة والخوارزميين .

ولم يجد السلطان سنجر بدا من السير لقتال اتسز ، فدارت معركة عنيفة بين الطرفين في شهر محرم من عام 533هـ بالقرب من ( هزار اسب )كان النصر فيها حليف السلاجقة ، الا ان اتسز ما لبث ان عاد الى خوارزم بمساعدة الاهالي ، غير انه خشي من تجدد القتال بينه وبين سنجر فسعى الى مصالحته واسترضائه ، فارسل اليه مؤكدا ولاءه وطاعته له ويتعهد بعدم الخروج عليه مرة اخرى .

غير ان اتسز سرعان ما نقض الصلح وشرع بمهاجمة املاك السلاجقة فاستولى على بخاري في سنة 534هـ/1139م ثم سعى للتحالف مع قبائل الخطأ التركية وحثهم على مهاجمة ممتلكات السلاجقة فشرعوا في مهاجمتها فاضطر السلطان سنجر الى الخروج لقتالهم ودارت بين الفريقين معركة كبيرة قرب سمرقند سنة 536هـ ، خسر فيها السلاجقة عدد كبير من القتلى وهرب سنجر الى بلخ .

واستغل خوارزم شاه هزيمة سنجر امام الخطأ واضمحلال قوته ، فهاجم خرسان واستولى على مدينة ( مرو )ثم قصد نيسابور فدخلها وقطع خطبة سنجر ، واستولى على اموال السلطان ونهب خزائنه وعاد الى خوارزم.

ولم يحرك السلطان سنجر ساكنا ازاء تجاوز اتسز واعتدائه على حاضرة ملكه خوفا من تحالفه مع الخطأ ، غير انه صمم على الانتقام في الوقت المناسب، فلما كانت سنة 538هـ خرج سنجر لقتال خوارزم شاه اتسز ، وجرى قتال ، فارسل الى سنجر يطلب العفو ويبذل له الطاعة ، فعفا عنه ، وتعهد اتسز بالتنازل عن كل ما استولى عليه من خراسان خلال انشغال السلطان بحرب الخطا عام 536هـ، كما تعهد بإعادة الاموال التي استولى عليها.

وتهيأت الظروف لخوارزم شاه اتسز ليعلن استقلاله نهائيا عن السلاجقة في سنة 538هـ ، بعد ان اخفق السلطان سنجر في القضاء عليه وصار الخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل ولم يبق امامهم سوى الحصول على موافقة واعتراف الخليفة العباسي ليكسبوا حكمهم الصفة الشرعية امام رعاياهم وتحقيقا لهذا الهدف بعث خوارزم شاه الى الخليفة المتقي لأمر الله ( 532-555هـ) رسالة اكد فيها اخلاصه وولاء للخلافة وطلب الى الخليفة ان يوليه خوارزم فلم يتردد الخليفة في اجابة طلبه وبعث اليه بالخلع والتشريفات. اما علاقة خوارزم شاه اتسز بالسلطان السلجوقي سنجر فقد عادت الى التأزم واندلعت الحرب بينهما من جديد في سنة 542هـ ولم يحقق سنجر هدفه في القضاء على الخوارزميين فاضطر الى الاعتراف بخوارزم شاه اتسز حاكما مستقلا عن الدولة السلجوقية .

**خلفاء خوارزم شاه اتسز:**

خلف خوارم شاه اتسز في حكم الدولة الخوارزمية ولده ايل ارسلان ( 551-568 هـ) فعمل على تدعيم مركزه ومد نفوذه الى الاقاليم المجاورة ، فتمكن من انتزاع بعض مدن خراسان واقيمت له الخطبة فترة من الزمن ، ثم اعيدت للسلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه .

ولم يلبث ايل ارسلان بن اتسز ان توفي في سنة 568هــ فتفجر الصراع بين ولديه علاء الدين تكش وسلطان شاه ، وكان قد عهد بالحكم من بعده لولده سلطان شاه ، الا انه اخاه الاكبر تكش ، لم يرض بذلك فجرت بين الاخوين سلسلة من الحروب انتهت بأبعاد سلطان شاه عن خوارزم ورحيله الى خراسان حيث تمكن بمساعدة قبائل الخطأ من الاستيلاء على مرو وسرخس ونسا وابيورد وظل يحكم هذه المدن حتى وفاته في سنة 589ه حيث تمكن اخوه تكش من استعادته.

اما خوارزم شاه علاء الدين تكش ، فقد انصرف الى الاهتمام بشؤون دولته بعد ان تخلص من منافسة اخيه سلطان شاه ، فاستغل انقاسم السلاجقة على انفسهم وانشغالهم بالحروب والفتن الداخليه وعمل على توسيع رقعه بلاده.

غير ان اتساع املاك الخوارزميين واستيلائهم على ممتلكات الدولة السلجوقية قد ادى الى أثارة النزاع بينهم وبين الخلافة العباسية ، فرفض الناصر لدين الله طلب علاء الدين تكش بإعادة دار السلطنة الى ما كانت عليه زمن السلاجقة ، وابدى عدم استعداد الخلافة لا عادة النفوذ الاجنبي بعد ان تخلصت من السلاجقة .

ثم تطلع علاء الدين تكش الى الاستيلاء على مدينة بخارى ، فقصدها في عام 594 وسيطر عليها ، وارسل اليه الخليفة الخلع له ولولده قطب الدين محمد وقلده حكم البلاد .

توفي علاء الدين تكش في رمضان من سنة 596هــ ، فتسلم مقاليد الحكم في خوارزم ولده قطب الدين محمد وتسمى بعلاء الدين محمد ، وقد تعرضت الدولة الخوارزمية في عهده الى هجوم حكام الدولة الغورية غياث الدين واخية شهاب الدين الذين تمكنوا من الاستيلاء على عدد من مدن خراسان ، الا ان الغوريين لم يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا بعد وفاة غياث الدين في سنة 599هــ .

وخاض علاء الدين بعد ذلك سلسلة من الحروب ضد الخطا الذين أستأنفوا غاراتهم ضد المسلمين في بلاد التركستان ، وقاد عدة حملات عسكرية ضد الخطا انتهت بإزالة دولتهم ، فارتكب بذلك خطأ فادحا ، اذ اصبح وجها لوجه امام المغول ، بعد ان كان الخطا يشكون سدا منيعا بينهم وبين بلاد المسلمين .

واستمر علاء الدين في نهجه التوسعي وواصل حملاته على الاقاليم المجاورة ، واصبح الطريق امامه مفتوحا الى غزنة حاضرة الدولة الغورية ، فاستولى عليها عام 612هــ .

وهكذا بلغت الدولة الخوارزمية في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد اقصى درجات القوة والاتساع ، فانصرف علاء الدين محمد الى العناية بشؤون دولته ،ووجد ان اتساع رقعتها يستدعي تقسيمها الى ولايات كبيرة يتولى ادارتها اولاده على ان يكونوا مسؤولين امامه مسؤولية مباشرة فاعطى ولده الاكبر جلال الدين منكبرتي القسم الشرقي من البلاد ويضم غزنة وباميان والغور وبست وتكياباذ وزمين داور وما يليها من بلاد الهند ، اما القسم الشمالي الذي يضم خوارزم وخراسان ومازندران فكان من نصيب ابنه قطب الدين ازلاغ شاه ، واقطع القسم الغربي الذي يشمل الشمال الشرقي من العراق أي أقليم الجبال الى ولده ركن الدين. غير ان الدولة الخوارزمية لم تستطع الحفاظ على املاكها امام الاخطار الخارجية ، ولم يتمكن علاء الدين محمد من مواجهة خطر المغول الذين اجتاحوا اقليم خوارزم في سنة 617هــ / 1220 م ، واضطر الى اللجوء الى احدى جزر بحر قزوين حيث ادركته الوفاة هناك في السنة نفسها بعد ان عهد بالحكم لولده الاكبر جلال الدين منكبرتي .

وقد اظهر جلال الدين كفاءة ومقدرة فائفة من الدفاع عن الدولة الخوارزمية في هذه المرحلة الخطيرة فبذل جهود كبيرة في قتال المغول والتصدي لزحفهم ، الا انه لم يعد يقوى على الوقوف بوجههم وانتهى المطاف بجلال الدين الى قرية من قرى مياقارقين حيث لقي مصرعه هناك سنة 628ه ، فسقطت بذلك الدولة الخوارزمية .